الصباح الإسلامية
09
إعداد : ياسر السيد
العدد 2278 - السنة الثامنة
الخميس 17 ذي الحجة 1436 - الموافق 1 اكتوبر 2015
Thursday 1 October 2015 - No.2278 - 8th Year

يشكل بداية ظهور البشر على سطح الكون

استخلاف الله للإنسان في الأرض .. بين تحمل المسؤولية والتفريط

■ قدر الله عز وجل بمشيئته أن يكون بنو آدم مستخلفين في الأرض وقدمهم على الملائكة فكانت تلك بداية التقدير لهم

■ من الضروري أن نعي جيداً أنه مهما طال أمد التكليف فهو إلى زوال ولذلك وجب العمل بمقتضياته

اصل الاستخلاف في اللغة من الجذر (خ ل ف)، وهو يرجع إلي معان منها: مجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، ومنه الخلف: العوض عن شيء فائت، ومنه الخلافة. والاستخلاف: جعل الخلف عن الشيء، والسين والتاء فيه للتاكيد.

وفي القرآن الكريم ورد لفظ الاستخلاف ست مرات، وورد من نفس المجال المفهومي الفاظ: الخليفة والخلفاء والخلائف تسع مرات، ومع أن عدد ورود اللفظ قليل إلا أن دلالاته على قدر كبير من الأهمية:

فالاستخلاف يشكل بداية الوجود الإنساني على الأرض، الذي اعلن عنه الله -جل جلاله- امام ملائكته: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) [سورة البقرة/الآية: 29]، وبموجب هذا الاستخلاف زود الإنسان بما يكفل له القيام بهذه المهمة، وفي مقدمة ذلك العلم الذي لم يمنح لمخلوقات غيره كالملائكة: (وَعَلَّمَ ءادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، قَالَ يَا ءادَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ)[سورة البقرة/الآية: 30-32].

لقد قدر الله عز وجل بمشيئته أن يكون الإنسان مستخلفا في الأرض وقدمه في ذلك على الملائكة، فكانت تلك بداية التقدير له، بوضعه محور الماسيجري على الأرض من أحداث جسام، كان على رأسها اصطفاء الرسل الذين سيكونون حلقة الوصل بين الله -عز وجل- : المستخلف، والإنسان: المستخلف.

ولذلك جاء ذكر الاستخلاف في القرآن الكريم مقرونا بالأرض أكثر من مرة: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) [سورة النور/الآية:53]، ومعنى الاستخلاف في الأرض: إمكان التصرف والتوطن فيها.

وتكرار ورود الاستخلاف مقترنا بالأرض يشير إلى سمتين لهذا المفهوم:

الأولى: أن الاستخلاف منوط بهذه الأرض التي جعلت مكانا للاستقرار الدنيوي للإنسان، بما فيها من مكونات طبيعية جعلت ملائمة لقيام حياة إنسانية فوقها. ومعنى هذا أن نجاح الإنسان في القيام بمهمة الاستخلاف متوقف على حسن تدبيره لما في الأرض وما على الأرض من مكونات.

والسمة الثانية: هي وقتية الاستخلاف؛ لأن ارتباطه بالأرض يعني انه ينتهي بانتهائها، وهذا ينسجم مع دلالة لفظ الاستخلاف، فهو يعني النيابة عن الغير او التصرف في ملك الغير.

ولأن الاستخلاف مجرد نيابة عن المالك للتصرف في ملكه، فإن من حق المالك المستخلف ان يبدل المستخلفين إذا ما اخلوا بشروط الاستخلاف: وهذا ما اكدته الآيات: (فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) [سورة هود/الآية: 56]، (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِف مِّن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءاخَرِينَ) [سورة الانعام/الآية: 134].

فهو استخلاف مؤقت تتعاقب عليه الأجيال وفق سنن إلهية محكمة وقواعد ربانية منضبطة في مقدمتها استيفاء شرط الإيمان والعمل الصالح: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ)، ومن العمل الصالح: الإنفاق مما استخلف فيه: (ءامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) [سورة الحديد/الآية: 7].

ومن خلال هذه الشروط نتبين أن استخلاف الإنسان في الأرض لم يكن مطلقا، وحقيقة الاستخلاف كما اراده الله -عز وجل- المستخلف هي انه استخلاف بقصد إصلاح الأرض وعمارها، لا بقصد إفسادها وخرابها، ولذلك شاءت الأقدار الإلهية أن من افسد في ما استخلف فيه، اتى الله بمن يستخلفه ويصلح ما افسده. وقد استعمل القرآن الكريم لهذا المعنى، احيانا، لفظ التوريث: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [سورة الأنبياء/الآية: 104] فبمقتضى هذا القانون أورث الله اقواما صالحين ارض اقوام مفسدين، وتلك سنة كونية ربانية لا تتخلف، قص علينا القرآن الكريم بعض فصولها:

(وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَاءِيلَ، بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) [سورة الأعراف/الآيتان: 136-137].

(وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) [سورة الاحزاب/ الآية: 27].

ومن الخصائص المميزة لمفهوم الاستخلاف والخلافة ورودهما في سياق القصص القرآني، وخاصة قصص الأنبياء مع أقوامهم، وفيه إشارة إلى أهمية الاعتبار من تلك القصص، وأن الخلافة والاستخلاف مهما طال أمدهما فهما إلى زوال، ولذلك وجب العمل بمقتضيات هذا الاستخلاف: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءالَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [سورة الأعراف/ الآية: 73].

ويفهم من هذا التحذير أن أهم خطر يتهدد حياة الإنسان في الأرض التي استخلف فيها هو الفساد، ولذلك لم يكن عبثا قول الملائكة لرب العزة حين أعلمهم باستخلافه الإنسان في الأرض:

(أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) [سورة البقرة/الآية:29].

لا يكتمل إيمان المرء إلا به ومن لم يتمسك بعروته ضاع في متاهات الحيرة

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقدر: خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره، وظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، هو إيمانٌ بركن ركين لا يصحّ إيمان العبد ما لم يعتقد به اعتقاداً جازماً، ومن لم يستمسك بعروته ضاع في متاهات الحيرة والضلال؛ إذ لها تعلّق بمسائل غيبيّة قد يعجز العقل عن تصوّرها والإحاطة بها.

وقد تضافرت الأدلّة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، ووردت في ذلك الآيات المحكمات، والبراهين القاطعات، والنصوص الواضحات، سواءً ما تعلّق بركنيّته وضرورة الإيمان به، أو التي تبيّن مراتبه ومنازله، فتدل ضمنيًا على القضاء والقدر، وسوف نقتصر في هذا المقام على ذكر الأدلّة الشرعيّة التي تثبت هذا الركن إجمالاً، وفق ما يلي:

الأدلة من القرآن الكريم

وردت العديد من الآيات القرآنية التي تثبت القدر، نذكر منها:

– قوله تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر:49)، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بمقدار قدره وقضاه، ويتضمّن ذلك –وفق الملاحظ من سياق الآية– وعيداً على المجرمين المكذبين بالقدر والكافرين به.

– قوله تعالى: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ (تبارك:1)، ومعناه أن كل شيء دون الله سبحانه وتعالى فهو مخلوق مربوب، محتاجٌ إلى مليك وإله يسخّر أموره ويُقدّر له أقداره، وأن كل شيء تحت قهره سبحانه وتسخيره.

– قوله تعالى: ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ (الأحزاب:38)، ومعناه كما قال ابن كثير: «وكان أمره الذي يقدره كائنا لا محالة، وواقعا لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن».

– قوله تعالى: ﴿ فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى﴾ (طه:40)، ومعناه أن مجيء موسى عليه السلام في هذا الميقات المحدّد والمكان المعدّ وفق إرادة الله سبحانه وتعالى ومشيئته، ليتمّ ما قدّره سبحانه وأراده من إرساله إلى فرعون رسولاً.

– قوله تعالى: ﴿ فجعلناه في قرار مكين×إلى قدر معلوم×فقدرنا فنعم القادرون×ويل يومئذ للمكذبين﴾ (المرسلات:21-23)، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قد هيّأ الرحم لتلك النطفة أن تبقى فيها ثم تنقل من حال إلى حال، ومن صفة إلى صفة؛ في مدّة معلومة وأجل محدّد قدّره الخالق سبحانه، ومن اللطيف الإشارة إلى قراءة هناك قراءة «فقدّرنا» بالتشديد، وهي قراءة متواترة قرأ بها أبو جعفر ونافع والكسائي، وغيرهم بالتخفيف.

– قوله تعالى: ﴿ من نطفة خلقه فقدره﴾ (عبس:19)، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في بطن أمّه أطواراً: نطفة ثم علقة ثم مضغة، إلى آخر تلك المراحل، ثم قدّر له تصوير خلقته وهيئته، وقدّر أجله ورزقه وعمله، وشقاوته أو سعادته.

هذه أبرز الآيات التي تنصّ على هذه المرتبة، وهناك آيات تذكر هذا الركن بالمعنى مثل قوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ (الحديد:22)، وقوله سبحانه: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ (النساء:87).

الأدلة من السنة النبوية:

بلغت الأحاديث الدالة على مسألة الإيمان بالقضاء والقدر حد التواتر المعنوي، نذكر منها الآتي:

– حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: بينما نحن عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، –وساله عن الإسلام ثم قال له–: فأخبرني عن الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره))، فقال الرجل: صدقت، والرجل هو جبريل عليه السلام، والحديث في مسلم.

– عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) رواه الترمذي.

– عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر) رواه الترمذي وأحمد.

– عن أبي عزة رضي الله عنه، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة، أو قال: بها حاجة) رواه الترمذي.

– عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو انفقت مثل أحد ذهبا في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار) رواه أبو داود.

– عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا، ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا) رواه أبو داود، والمقصود من ذلك قوله تعالى: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ (الكهف: 80).

– عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: (كل شيء بقدر، حتى العجز والكَيْس) رواه مالك في الموطأ، والعجز هو عدم القدرة، والكَيْس هو النشاط والقوّة.

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم.

– وعنه رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون النبي –صلى الله عليه وسلم– في القدر، فنزلت هذه الآية: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر: 49) رواه مسلم.

– عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاء رجل من الأنصار إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال: يا رسول الله، إن لي جارية، أعزل عنها؟ فقال عليه الصلاة والسلام: (سيأتيها ما قدّر لها) فأتاه بعد ذلك، فقال: قد حملت الجارية، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: (ما قُدّر لنفس شيء إلا هي كائنة) رواه ابنَ ماجة، وأصله في الصحيحين.

– عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (لا يزيد في العمر إلا البرّ، ولا يرد القدر إلا الدعاء) رواه الترمذي وابن ماجة.

– عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إن مجوس هذه الأمة المكذبون باقدار الله، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، وإن لقيتموهم فلا تسلّموا عليهم) رواه أبو داود وابن ماجة.

– عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خدمت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عشر سنين، فما أرسلني في حاجة قط فلم تُهيّأ إلا قال: (لو قُضي كان ، أو لو قُدّر كان) رواه البيهقي في القضاء والقدر.

– عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: (لا يدخل الجنة عاق، ولا مكذب بقدر، ولا مدمن خمر) رواه أحمد.

وقد انعقد الإجماع على إثباته، وكفر من أنكره، يقول النووي: «تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد من السلف والخلف، على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى».

أجمل الأدعية للمسلم

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم (من قالها 3 مرات حين يصبح وحين يمسي لم يضره شئ)

• اللهم انني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (من قالها صباحا ومساء قضى دينه) • اللهم اني أسألك العفو والعافيه في الدنيا والاخرة.اللهم اني اسألك العفو والعافيه في ديني ودنياي وأهلي ومالي.اللهم استر عوراتي وأمن روعاتي.اللهم احفضني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي واعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتي (نقال صباحا ومساء)

• اللهم بك اصبحنا وبك أمسينا واليك النشور اللهم بك امسينا وبك اصبحنا واليك المصير • اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابرهيم وبارك على محمد وعلى ال محم كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد (من قالها 10 مرات ادركته شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم)